إستراتيجية الترميز في العمارة

مفهوم الرمز اصطلاحيا :

- وردت تعاريف عديدة لمفهوم الرمز كمصطلح، الى أن الرمز عبارة عن تجديد لفكرة تتولد في نفس الفنان، قد ينم عنها الشكل الذي يحتويها.
- ومنهم من يعد الرمز كصورة كما اشار هاوزر الى أن الرمز هو صورة ذلك التمثيل الذي لا يسمي الشيء باسمه
- اما توبلر فيعد الرمز رؤية لما يقبع خارج حدود العالم المرئي.
- ويرى برجسون " ان الرمز اداة عقلية تربط صورة ما باخرى حسب قانون المطابقة وبهذا يصبح الرمز صورة مماثلة لشي اخر عن طريق الحدس والتخمين".
- اما هيغل فيجعل للرمز قيمة استنتاجية بدلا من القيمة التماثلية عند برجسون.
- في حين ذكر بوفيه ان الرمز خلاصة الفكر والجوهر الكامل للتشبيه لان الرمز يفترض فكرة والرمزية معناها افتراض شيء وراء المخصوص أي انها تفترض فكرة عن علاقة الانسان بما وراء الطبيعة او بما نسميه المجهول.
- ويعرف فولين الرمز بانه " فن التعبير عن الافكار والعواطف باعادة خلقها في ذهن المتلقي).
- وتعرفه ريتا عوض "بانه التعبير التمثيلي الذي تستخدم فيه الفاظ ذات طبيعة حسية للدلالة على افكار مجردة، اذ يوجد بين الصورة والفكرة التي تثيرها تلك الصورة ، فالرمز هو نفسه وهو ما يعبر عنه، الاثنان منصهران ولايمكن لأية صورة ان تكون رمزاً لأية فكرة بشكل عشوائي
- اما كانت فاشار الى ان الرمز تمثيل من الخيال يستدعي الكثير من الفكر، وان الفكرة الجمالية رمزا تختلف عن الفكرة العقلية في كونها تختلف عن المفهوم شكلا"، ولو بغير المعنى التقليدي للاشارة، اذ ليس هنالك مفهوم قادر على تفسير المحتوى الكامل للرمز.
- ويعد Goethe الرمز نظاما" لعلاقات معقدة، تمثل القطبية Polarity الخاصية السائدة فيه، بين عالم ملموس فيزياوي وعالم ميتافيزيقي غير ملموس. وعليه فان فهم الرمز كما ذكر دوركهايم يتطلب منا فهم التفاعل ما بين شكله المادي ومدلولاته الاعتبارية الجمعية. ويقترح الجادرجي انه لمعرفة مدى تاثير دلالة اشارة ما (ومنها الشكل المعماري) فما علينا الا الاحتكام الى التعامل الحقيقي للمجتمع مع هذه الاشارة .

تعريف الرمز اصطلاحيا :

ما سبق تنوعت معاني الرمز التي تداولتها الطروحات اصطلاحيا بين كونه اداة او صورة او قيمة استنتاجية او تعبير او وسيلة للتعبير . وعليه يمكن تعريف الرمز اصطلاحاً بكونه "وسيلة تعبيرية ذات بعد صوري، يطرح قيمة استنتاجية لرؤية ما يقع خارج حدود رؤية الفرد مستثمرة عدة طرق كالحدس والتخمين والمماثلة لتحقق وظيفة الاتصال البشري. الذي يوصل معان ضمنية لافكار عقلية واخرى مادية متطلباً بذلك فهم التفاعل بين الشكل المادي ومدلولاته الاعتبارية الجمعية.

الرمز في الفلسفة :

اشار الكثير من الفلاسفة والمفكرين والنقاد والسايكولوجين لاهمية الرمز في حياة الانسان فبعضهم حدد وظيفة الرمز كاداة لحمل المعاني الخاصة فقط وهذا ما فعله (فرويد) عندما عد العلم كوجود ليصبح رمزا" لتغيرات المعنى المؤكدة. او كما يقول سقراط تكلم حتى اراك فقد رمز لوجود الانسان بفكره

تعددت الطروحات التي تناولت الرمز لغوياً وتجاوزت حالة التعريف من اللغة الى علوم اخرى احياناً .كما تنوعت في اشارتها للرمز من لغة الى اخرى . الا انها اتفقت بكونها تشير لمصطلحات قريبة من الرمز ، وقد تراوحت بين اشارة للرمز كفعل اشاري دلالي او الاشارة لشيء مادي يمثل سمة معنى او تغيرا" للمعنى. وبذلك يمثل الرمز "اشارة او شيء ملموس يمثل شيئا" اخر مجردا" كفكرة غير ملموسة بحسب التشابه بينهما في الخصائص والمعاني المتفق عليها جمعياً".

مثال ذلك نرمز للسلام من خلال الحمامة التي تحمل في منقارها غصن زيتون

الرمز في المجتمع :

تتداخل التركيبات الرمزية بعمق في الواقع الاجتماعي وتتفاعل معه بواسطة اللغة، فما يقوله الناس لا ينبع من اللغة بل من التفاعل الاجتماعي (العرف) غير أن العرف أو التقليد يتغلغل في شعورهم عن طريق اللغة التي تصبح فيما بعد شعور الناس وان اللغة لا تشكل قوة تأسيسية للعرف الاجتماعي بل إن الأخير هو الذي يخلقها. كما إن الأنماط الثقافية هي نماذج أو مجموعات من الرموز تكون علاقاتها ببعضها عام ً لا في تحديد علاقات الوحدات (الاجتماعية)، فالرموز :- هي نماذج واقعية ما دامت تضفي على الحقائق الاجتماعية والنفسية ما يرتبط من معاني وأشكال فكرية موضوعية، حيث أنها تتشكل مع هذه الحقائق بصورة متبادلة.

الرمز في الحقول الاخرى حظي الرمز باستخدام واسع في الحقول المعرفية كافة، وهذا ما جعل منه مصطلحاً مرناً متنوع التحديات؛ إذ أن كل حقل معرفي قدم تحديداً يتوافق مع المرتكزات التي انطلق منها، ونتيجة لهذا التنوع فقد تشعبت التحديدات حتى بات تقديم تحديد جامع له يكاد يكون أمراً مستحيلاً

- إن الرمز تقنية فنية تمنح النتاج الأدبي ثراء دلالياً وتبعده عن السطحية والمباشرة، مما يدفع المتلقي إلى الغوص في أعماقه لكي يتسنى له الإلمام بالمعنى الكامن في البنية العميقة
- الرمز في الرياضيات فالرياضيات لغة الكون،واللغة تحتاج رموز ، وللرياضيات رموزها التى تعتبر الحروف الأساسية للتحدث بهذه اللغة
- الرمز في الرياضيات يعبر عن علاقة أو يرمز لمتغير أو ثابت وتستخدم الرموز في الجمل لتعبير عنها وتبسيط تعقيدها منها الارقام والعلامات الحسابية ورموز اخرى مثل الدوال وغيرها.
- أن الرمزية في النتاجات الأدبية هي المدرسة التي ظهرت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، مُتخذةً التعبير عن الإنطباعات النفسية عن سبيل الإيعاز أو التلميح، بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر. في جميع مجالات الادب الشعر والدراما
- الترميز الجيني Genetic code في ترجمة سلسلة من الثلاثيات الرموز الوراثية للاحماض النووية (DNA)
- الالوان ورمزيتها فتدل الالوان او ترمز الى مفاهيم وحالات منها الاحمر يدل على الهيجان والحركة والابيض يدل على السلام وهدوء الاخضر يدل على الطبيعة والاسود يدل على الحزن والوقار

الرمز في العمارة:

- ان الرمز مفهوم ذو اهمية كبيره في الطروحات المعمارية المتعددة خصوصا تلك المعتمدة على المعنى واستخدام لغة رمزية محفزة للمتلقي ،فالطروحات العامة تشير لاهمية استخدام وتجسيد رموز ترتبط بالبعد السياقي .إذ إن الرموز هنا تعمل وتعنى بوظائف تعبيرية فضلا عن كونها وسائل لتبادل المعاني والتواصل بين الناس ،
- كما يتطرق برودبنت في حديثه عن الرمز ان الرمز إشارة تحمل او تنقل معنى عام. و يشترط آلية التعلم كأساس لعمل الرمز اللغوي ، فمهما تكن العلاقة بين الرمز اللغوي وما يرمز إليه فان هذه العلاقة يجب ان يتعلمها كل من المرسل و المستلم،ولكون العمارةهي تجسيد واحتواء للقيم التي تحدد بواسطة الثقافة فيقول جينكس ان العمارة هي لغة رمزية لتحفيز المتلقي فالرمز هنا هو اجماع الرأي على استعارة معينة وتقييمها وفهم الرمزيعتمد على الخبرات السابقة والقيم والاعراف والتقاليد والموروثات والتاثير الحضري والبيئي.
- واذا كانت الرموز تعتبر وسيلة تقليص المعلومات المدركة في بيئة معينة او مكان معين ، فان الإنسان يقوم بترميز الحافز البيئي والاستجابة بشكل فعال لهذا الرمز تعتمد على المعنى الذي يلحقه بهذا الحافز والذي يكون متداعيا ومعتمدا على الخبرة السابقة والتاثير الحضاري والتقييم البيئي
- كما يشير شولز الى ان المعاني والرموز مثلت الوسيلة التي حصل بها الانسان على موضعه الوجودي وانتمائه المكاني
- ومن أهم صفات الأشكال المعمارية هو كيفية عملها كرموز أو إشارات لوظائف أو دلالات ثقافية أو سياسية أو أي معاني أخرى يستدل عليها الإنسان المتعامل مع تلك الأشكال. وتساعد تلك الرموز الإنسان على فهم المكان والتعامل معه بالشكل المناسب ثقافيا واجتماعيا تبعا لما تمليه عليه ثقافته وتعليمه. فالرموز المتوفرة داخل أحد المباني توجه الإنسان للتعامل معه كمبنى ديني أو مستشفى أو متحف تبعا لمعاني الإشارات الموجودة داخله. وهذه القراءة قد تكون صحيحة وكافية بالنسبة للإنسان المتعامل مع المبنى ولكن هناك قراءات أخرى أعمق تحمل نفس الأهمية للمجتمع .

- إن التغيرات والتحولات التي تحدث في لغة العمارة يمكن أن تحجب أو تعزز أو تشوش المعاني الموجودة في البيئة العمرانية ولكن الرموز الأساسية التي يمكن قراءتها عبر الزمن والتاريخ تضل ثابتة ومستقرة. واستنادا الى هذه التحولات الكثيرة والتغيرات السريعة في البئية العمرانية ادى ذلك إلى وجود خليط كبير من الرموز والرسائل التي تفرض نفسها على المتلقي من خلال تواجدها في مجال الرؤية البصرية اليومية للمتعامل مع البيئة العمرانية المحيطة. مما يؤدى بالإنسان في نهاية المطاف إلى فقدان المعنى والترابط مع البيئة العمرانية المحيطة
- و الرمزية تعبير يتجه الى التعبير الشفاف الذي لا يسلم معناه، فانت لاتلمحه ولا تستطيع مسكه، فتوحي ولا تعرف. معطية بذلك صوراً وافكاراً يجتهد المتلقي في تأويلها وهذا لايعني ابعاد المتلقي بالمعنى تناقضاً مع المطروح من دلالات، وانما هو مسالة انفصال واعادة تامل مما يجعل نصاً قابلاً للتاويل ووظيفة تاويل النص الحاضن للرموز تكمن في استكشاف معاني للرموز القائمة على التوتر والتنافر والتعارض بين القوى المتقابلة والقوى المتخالفة التي يستطيع بها التقاط البنية العميقة للنص.

ومن هنا نلاحظ ان عملية توصيل معاني الرموز في العمارة على مايلي :

- الرسالة المطلوب توصيلها من الراسل
- الراسل
- مدى نجاح النتاج في حمل وتوصيل الرسالة
- مدى قدرة المتلقي على قراءة وفهم الرسالة

لذلك يجب ان يكون الرمز متفق عليه مسبقا وضمن سياق البيئة المحيطة .

الرمز والمفاهيم المرتبطة به:

المجموعة الاولى- الارتباطات الاتصالية:

- **الرمز والاتصال: يتعلم الانسان الرموز ومعانيها من خلال عمليات الاتصال Communication، وعملية الاتصال التي تحدث في العمارة تتطلب باعثا" للرسالة ومفسرا" وحاملا" ومضمونا" لها والتي يجب ان تتم من خلال الرموز بأكتشاف المعنى الذي قد يسمح لمختلف التاويلات.**
- **الرمز والإشارة: أي ان الرمز هو واسطة نقل المعنى في منظومة الاشارات.وتنقسم الاشارة المعمارية الى:الرمز Symbol، الذي يمثل اشارة تدل على شيء ما متوافق معه بنوع البنية (علاقة اجزاء) ،وهي واقعة مدركة شكليا تشير الى واقعة غير مدركة وتشمل الشكل والمغزى والمؤول، والمؤشر Indexالذي يمثل اشارة تدل على شيء ما نتيجة افكار سابقة .**
- **الرمز والعلامة: ان الانماط تستثمر الرموز Symbolsاذ تعد علامات قابلة للتصور من قبل الجمهور المثقف.**

يقارن Eisenman العلامة اللغوية بالعلامة المعمارية، اذ ان العلامة اللغوية علامة شفافة لاينظر اليها والى مكوناتها (احرفها)، بل الى ما تشير اليه، لذا فان ما يفعله الشعر هو الشفافية ليبين العلامة المعمارية المختلفة كما يرى " الحائط حائط، انه ليس كلمة انه الشيء الذي تشير له كلمة حائط، فالكلمات شفافة في حين ان الجدران غير شفافة.

- **الرمز والصورة: ان الصورة في ذهن الإنسان هي محاكاة ذاتية للفضاءات أو الأشكال الموجودة في الواقع، وإنها تكون حاضرة في الذهن حتى بعد غيابها عن المتلقي و هي الصورة التي يدركها المتلقي عن الشكل أو الفضاء أو الأبنية وعملية المحاكاة تكون عبارة عن ترميز للأشكال والعناصر، فضلا" عن محاكاة العلاقات الرابطة لتلك العناصر.**

المجموعة الثانية - الارتباطات القواعدية:

الرمز والعرف: للعرف دور في عملية التواصل بين المتلقي والنص ظاهرياً، فهو عنصر من عناصر ذخيرة النص – والتي هي جميع السياقات التي يمتصها النص، يجمعها ويخزنها ولكنه أهم عنصر في النص، والعرف لا يمكن تسميته بالعرف إلا إذا عرفه اكثر من شخص واحد.

الرمز والمعنى: اشار Gibson بان المعاني الرمزية تكون على نوعين: معان كامنة، ومعان ظاهرة، يتوصل اليها المتلقي عن طريق استجابته العاطفية لها.

ويصنف Charles Morrisالمعنى الرمزي الى ثلاثة مستويات معتمدا على فكرة ان المعنى الرمزي لتشكيلة معينة في البيئة يعتمد على محيطها:

المعنى التركيبي Syntactic: وهو المعنى الذي يشمل العلاقات الشكلية للرمز مثل موقع المبنى بين مجاوراته.

المعنى الدلالي Semantic: ويشير الى المعايير،أو الفكرة أو الموقف الذي يجسده عنصر ما او يدل عليه.

المعنى العملي Pragmatic: وهو المعنى الذي يربط الرمز بمستعمليه

الرمز والنمط: ان الانماط العليا بميزتها الجمعية تخلق الاساطير والاحلام والفلسفات واشكال الابداع فللانماط العليا مبادرتها الخاصة وطاقتها الخصوصية، وهذه القوى تمكنها من آمرين: الاول في ان تقدم تفسيرا ذا معنى (باسلوبها الرمزي الخاص) والثاني ان تتدخل في موقف معين باندفاعاتها وتشكيلاتها الخاصة للفكر.

المجموعة الثالثة- الارتباطات السياقية:

- الرمز والمكان: يستعمل الانسان الرموز لكي يعبر بها عن استقراره وانتمائه الى المكان، ليؤثر بها عليه وليعبر عن وجوده فيه، اذ ان " البيئة القيمة هي البيئة التي يدركها الساكن ويتعاطف معها فيزياويا" واجتماعيا"، ويشعر فيها بارتباط رمزي كبير.
- الرمز والزمن: ان مقدار تعلق الرمز بالزمن هي قابلية المجتمع او اية شريحة بشرية من ادراك معنى الرمز والاتفاق عليه نتيجة فعل بشري او طبيعي او آلهي ويتحدد الرمز بالحقبة الزمنية التي ولد فيها والولادة هنا لاتشير الى فعل الانتاج وانما الى فعل الاتفاق الجماعي وقد يكتب لذلك الرمز خلوداً من نوع ما حسب تأثيره وقد يطمر في مهده لفترة زمنية محددة.
- الرمز بين الوعي واللاوعي: تتكون الرموز عن طريق صياغة الصور الذهنية والمتاتية من اللاوعي الجمعي وتتكون هذه الصور الذهنية نتيجة لعملية الادراك التي يقوم بها الفرد للاشياء الموجودة في البيئة.
- يرى Lang بأن لاختيار المحددات قيماً جمالية ومعنوية اكبر من قيمتها التحديدية للحيز، علما ان اختيار هذه المحددات يكون ناتجا" عن الوعي التام وقد ينتج في بعض الحالات عن اللاوعي. ويعتبر Despres المسكن رمزا" للذات، ومثلا" للافتراد المكاني الاكثر قوة وتاثيرا للنفس بعد الجسم، حيث يفسر الرغبة في الفعل والتطوير والتعبير عن الافكار والقيم الفردية على انها التعبير اللاواعي للذات.
- الرمز والسياق: تؤكد بعض الدراسات أن "جانباً كبيراً من التصاميم المعمارية يعتمد الحس البشري أساساً للتناسق بين شكل العمارة وحضارتها". وقد يلجأ المصمم "إلى اختيار السياق لاستحضار المعاني الرمزية المرتبطة به، بمستويين، أما كون السياق الناتج حضاري يحمل مبادئ فكرية معينة يود المصمم استحضارها، أو كون السياق يحمل خصائص معينة يتم استحضارها عند الإشارة إليه.

اوضح الطرح السابق اهمية وطبيعة العلاقة بين الرمز والسياق بشكل عام والسياق الحاوي له بشكل خاص فاللجوء الى سياق معين لاستحضار معاني رمزية مرتبطة به بعدة مستويات يمثل سياقاً عاماً والتركيز على فهم الرموز باعتماد تداعي ايماءات الرموز يمثل سياقاً خاصاً .مع اهمية توضيح نمط العلاقة المعتمدة تركيبية او ايحائية .مع بيان اهمية الازاحة كعامل مهم في عملية البناء للدال او الرمز الجديد والمحافظة على تامين الاتصال كهدف نهائي لاجل فهم معنى الرمز.

التمثيل والرمز:

يقوي التمثيل والرمز درجات متنوعة من الوضوح والصراحة بينما في البعض توفر المعنى الرمزي في العمارة من خلال:

خيال الفرد	الفرد	الفكر	التعليم	الخبرة الشخصية	الاحتراف

وكلها توثر في كيفية تحقيق المعنى الرمزي بالعمارة عموماومثاله حين يدخل الصياد الكنيسة ولاحظ من منطقة جلوسه في المقصورة ان العمود يحمل نفس القياسات في السارية ونتيجة لذلك ان الجلوس بالقرب من العمود كانه الجلوس قرب الشجرةكرمز الامان كونة يرمز للعودة الى اليابسة ويمثل الشعور بالامان. اي ان هنالك حوار ذاتي مع العمود وبذلك اصبح للعمود تصور ورمزية خاصة

يمكن ان تقسم امثلة التمثيل الى مجموعتين غير متساويتين من ناحية درجة استخدامها:
المجموعة الاولى : تشمل مصادر التمثيل في هذه المجموعة الاشياء الموجودة في العالم الطبيعي وبنفس الطبيعة التي يمتلكها.
المجموعة الثانية : تشمل الاشياء المصنعة من قبل الانسان (ليست طبيعية) وتعتبر كمصدر للالهام وتدعو الى الامكان والوجود.
وكمثال حيث استخدم عنصر طبيعي وهو الاشجار ووضعت كاعمدة في كاتدرائية Sargada Famillaفي برشلونه.اعمدة مضلعة مائلة على واجهة معبرة حسيا من اشكال هندسية معقدة جدا.